الباب الأول
الدراسة النظرية

المقدمة

من لم يحترم حق الإنسان فى الحياة، لم يحترم البيئة التى يعيش فيها، ومن لم يحترم البيئة لم يحترم حق حياة الإنسان والكائنات الحية كافة. مصداق هذه القول يعززه ما آلت إليه البيئة فى بلادنا نتيجة الحروب التى شنتها أمريكا على المجتمع العراقى. وبعد أن كان الإنسان طوال قرون ضحية للبيئة، أصبحت ضحية له، وتحول من الخوف منها إلى الخوف عليها دون أن يتوقف عن تدميرها. لا سيما من خلال تقنيات الحرب ذات الطاقة التلويثية العالية.

أن دراستنا إذ تتناول موضوع الآثار الاجتماعية للتلوث البيئى، من أجل كشف آثاره الخطيرة فى الحياة الاجتماعية لأفراد المجتمع، والتى تفوق فى بعض الحالات مستويات التوقع أو التصور. أن هذه الآثار وعوامل كثيرة تحاول رسالتنا كشفها، وتحليلها من أجل معرفتها ومعالجتها وصولا إلى التقليل من آثار التلوث على المجالات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والصحية كافة من خلال تقديم المقترحات والتوصيات المناسبة لمتخذى القرار، فضلا عن أهمية دراستنا لموضوع التلوث البيئى، يمكن أن نحصرها ببعدين أساسيين ومهمين ألا وهما الأهمية النظرية والأهمية التطبيقية فأما الأهمية النظرية لهذه الدراسة فهى تنبع من خلال:

١ - قلة الدراسات عن موضوع التلوث البيئى من الناحية الاجتماعية، لا سيما فى ظروف ما بعد الحرب والتى يزيد من أهميتها ويعطيها قيمة علمية خاصة.

٢ - أن دراسة التلوث البيئى ذو أهمية بالغة، خصوصا فى هذه

الظروف الحرجة التى يمر بها مجتمعنا العراقى والتى عاش خلالها حربا صليبية مدمرة. علاوة على عمليات السلب والنهب التى حدثت بعد الحرب.

٣ - والنقطة الأكثر أهمية التى يمكن أن تتوج هذه الدراسة هو كونها وثيقة علمية، إلى جانب الوثائق التاريخية الأخرى التى ستكشف آثار الحرب على أفراد المجتمع العراقى، وما سلطته من أضواء على أبعاد الجريمة النكراء للعدوان الغربى على العراق وكشف الحقائق أمام أنظار المنظمات والمؤسسات الدولية والرأى العام العالمى.

أما فيما يتعلق بالأهمية التطبيقية لدراستنا فإننا ومن خلال ما ستكشفه نتائج الدراسة لاحقا، لمعرفة واقع الوعى والثقافة البيئية لدى أبناء المجتمع. وما هى الوسائل الكفيلة بتوعية وتثقيف الأفراد. فضلا عن تقديم التوصيات والمقترحات المناسبة والتى نأمل من خلالها الحد من آثار التلوث المعيقة لتنمية المجتمع.

لقد اشتملت الدراسة على سبعة فصول انقسمت على بابين رئيسين حيث احتوى الجانب النظرى على الفصول الثلاثة الأولى، فى حين احتوى الجانب الميدانى الفصول الأربعة المتبقية. **فالباب الأول** من الدراسة هو الدراسة النظرية الذى يتضمن ثلاث فصول هى:

الفصل الأول الذى أخذ عنوان الإطار النظرى للدراسة والذى احتوى على مبحثين وهما المبحث الأول: إطار الدراسة، واحتوى مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها والمبحث الثانى تحديد المفاهيم الخاصة بالدراسة مثل الأثر، البيئة، التلوث البيئى، الوعى البيئى، والثقافة البيئية.

ويتناول **الفصل الثانى** أشكال ومجالات الحرب وآثار التلوث. والذى يحتوى على خمسة مباحث وهى المبحث الأول البيئة والإنسان والثانى البيئة

سوسيولوجيًا والمبحث الثالث أشكال تدمير موارد البيئة والمبحث الرابع أثر التلوث على الطاقة البشرية للنظام الاجتماعى والمبحث الخامس إعادة تاهيل البيئة (مرحلة إعادة الإعمار) التى حدثت بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م.

وتناول **الفصل الثالث** مجالات الوعى البيئى ودورها فى حماية البيئة من التلوث وهذا الفصل ضم الأسرة، المؤسسة التعليمية، المؤسسة الإعلامية، المؤسسة الدينية، القانون.

أما الباب الثانى فهو الدراسة الميدانية، إذ أن هذا الباب يتكون من أربع فصول هى:

الفصل الرابع يحتوى الإطار المنهجى وعينة الدراسة، فى حين يتناول **الفصل الخامس** البيانات الأساسية لوحدات العينة مثل الجنس والعمر والموطن الأصلى وعدد أفراد الأسرة. . .إلخ.

أما الفصل السادس من الدراسة فقد تناول موضوع عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية ويقع فى أربع مباحث وهى عرض وتحليل النتائج الخاصة بالمجال الاجتماعى. وعرض تحليل النتائج الخاصة بالمجال النفسى. وعرض وتحليل النتائج الخاصة بالمجال الاقتصادى. وعرض وتحليل النتائج الخاصة بالمجال الصحى وأخيرا هناك الفصل السابع الذى تخصص بالاستنتاجات والتوصيات والمقترحات التى توصلت إليها الدراسة.

***

الفصل الأول

الإطار النظرى للدراسة

The Theoretical Frame

For The Study

الفصل الأول

الإطار النظرى للدراسة

تمهيد

المبحث الأول: إطار الدراسة

أولاً: مشكلة الدراسة The Problem Of Study

ثانيًا: أهمية الدراسة The Importance Of Study

ثالثًا: هدف الدراسة The Aims Of Study

المبحث الثانى: تحديد المفاهيم Specifying Concepts

١ - الأثر Effect

٢ - البيئة Environmen

٣ - التلوث البيئى Environmental Pollution

٤ - الوعى البيئى Environmental Perception

٥ - الثقافة البيئية Environmental Cultivation

* * *

تمهيد Preface

ليس للبيئة الطبيعية (Environmental Natureal) بحد ذاتها قيمة من الناحية السوسيولوجية غير أن تلك القيمة تظهر وتكتسب الأهمية حين تحلل من زاوية التفاعل بينها وبين أبناء المجتمع.

بدأ الإنسان حيًا فى البيئة حين تكون خلقه فى اصلاب الرجال وارحام النساء واليها يعود جسداً ميتًا. فمنها خلقه الله واليها يعيده تارة أخرى، كما ورد فى قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾. (سورة طه، آية ٥٥).

والبيئة تؤمن للإنسان أرضًا وماءً وهواء وملايين من الأنواع والكائنات الحية لكنها فى الوقت نفسه تهدد حياته بظواهر لم يستطع حتى اليوم أن يسيطر على آثارها وأن تنبأ بوقوعها أحيانًا.

وبعد أن كان الإنسان طوال قرون مضت ضحية لها أصبحت حاليًا ضحية له وتحول من الخوف منها إلى الخوف عليها من دون أن يتوقف عن تدميرها وخصوصًا من خلال تقنيات الحرب ذات الطاقة التلويثية العالية. ومن خلال الاستثمار غير العقلانى الذى جعل علاقته بها تدميراً لا تسخيراً مع أن عافيته بكل معانيها جزء أو امتداد لعافيتها[1].

وسيظل موضوع البيئة وتلوثها والأخطار الناجمة عن ذلك التلوث على الإنسان والحيوان والنبات من الموضوعات الرئيسية التى سوف تشغل العالم فى القرن الحالى، وقد يعتقد بعضهم أن الكتابة والنشر والتنوير فى موضوع البيئة قد اثقل كاهل القراء من كثرة ما قرأوا حول هذا الموضوع، ولكننا مازلنا فى بداية إشاعة الوعى البيئى بين أبناء المجتمع.

---

(١) د. كريم محمد حمزة، الأبعاد البيئية للعدوان على العراق، ندوة العوامل والآثار الاجتماعية لتلوث البيئة، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص٣١٤.

والبيئة بمعناها الشامل قد تبدو فى الظاهر لا علاقة لها بالأفراد من حيث دخلهم أو سكنهم أو رفاههم، ولكن تلوث البيئة من العناصر التى تنقض على الناس فى مختلف دولهم وفئاتهم الاجتماعية والاقتصادية من دون استثناء، وأصبح من المؤكد أن أمراض بعينها وأجواء بعينها هى نتاج حتمى للعبث بالبيئة والتى تؤثر بدورها على النظام الاجتماعى (Social System) الذى يتشكل من المؤسسات (Institution) التى أنشأها الإنسان وطورها ليدير بواسطتها شؤونه الداخلية والخارجية فى مجتمعه الخاص أو مع المجتمعات الأخرى.

ولذلك بدأ العدوان الثلاثينى(*) على العراق فى جانبه البيئى فى الأقل وكأنه أسوأ صورة للأيذاء المدمر تعرضت له البيئة فى العراق. ويعتبر هذا العدوان أكبر تدمير بيئى شهده التاريخ، إذ أن كمية المتفجرات التى ألقيت على العراق فى أول يوم من أيام الحرب فى ١٧ / كانون الثانى/ يناير ١٩٩١ تعادل القوة التدميرية للقنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما فى اليابان. فضلاً عن إلقاء أكثر من (١٤٠) ألف طن من المتفجرات وما أحدثته من تدمير للعتاد والسلاح والمنشآت الصناعية والنفطية ومحطات توليد الطاقة الكهربائية وغيرها، مما أدى إلى تسرب آلاف الأطنان من السموم على عناصر البيئة المختلفة من هواء وماء وتربة مسببة أضرارا بالغة بالنظام البيئى(١). لا سيما أن

---

* وهو العدوان الذى تعرض له الشعب العراقى فى ١٧ / ك٢/ ١٩٩١ من قبل أمريكا وحلفائها. وسوف يورد فى هذه الدراسة بالاسم الذى أطلقه الرأى العام العالمى حرب الخليج الثانية. أما التسمية الرسمية فى المجتمع العراقى فقد اطلق عليها اسم أم المعارك.

(١) ليث فالح العقاب، وآخرون، بيئة العراق ما بعد الحرب (ندوة علمية دولية)، جمعية حماية وتحسين البيئة فى العراق، بغداد، ١٠ - ١٢ / كانون الأول، ١٩٩٤، ص٣..

التركيز فـى بعض المناطق وصل إلى درجة أصبح يؤثر تأثيراً سيئـاً على صحة الإنسان مسببة ليس المضايقة فقط إنما المرض والوفاة[1].

ولأهمية بعض من أخطر هذه المشاكل ومنهـا مشكلة التلوث الإشعاعى باليورانيـوم المنضب[2]. استـدعى ذلك دراسة الواقع الـبيئى للـعراق، الذى أصبح فيه التلـوث أحد المشاكل التى تنصب أكثر الدراسات والبـحوث عليها من أجل إيجاد الحلول المناسبة والجادة، ومنها دراستنا هذه التى تاخذ موضوع التلوث البيئى من جانب اجـتماعى بدراستها لآثار التلوث البيئى الاجـتماعية التى حدثت نتيجة العدوان والحرب على العراق.

---

(١) لستـر براون، من أجل الإنسان، ترجـمة سمـير حـسنين، بدون مكان طبع وسنة طبع، ص, ٨٠

(٢) اليورانيـوم المنضب (Depleted Uranium): عنصـر سام ومشع لـه كثافـة تبلغ ١٩ جم/سم٣، وللعنصر شكلان متشابهان يعرفان كل منهما باسم النظير (Isotop) هما اليورانيوم - ٢٣٥ وهو قابل للانشطار، واليورانيوم ٢٣٨ والذى يشكل حوالى ٩٩٪ من اليورانيوم الطبيعى، يستخدم اليـورانيوم بصورة أساسية لإنتاج الأسلحة النووية، لكنه يحتاج إلى عملية تخصيب تؤدى إلى إنتاج ما يعرف باليورانيوم المنضب والذى يمتلك حـوالى ٦٠٪ من القدرة الإشعـاعية لليـورانيوم الطبيـعى، ويستمـر بنشاطه الإشعاعـى هذا لفترة زمنية خـيالية، إذ يحتـاج إلى ٤,٥ مليار سنة (أى ٤,٥ ألف مليون سنة) ليـختزل إلى نصف كـميتـه متحـولاً إلى عنصر آخر، وهذا مـا يعرف بنصف العمر، انظر:

أ - د. مـثنى عبـد الرزاق العمـر، العدوان الـثلاثينى والحـصار الأضـرار البيـئية والصحية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠١، ص١٧٠..

ب - دان فاهى، وآخرون، اليورانيوم المنضب مـعدن العار، ترجمة، جاسم زبون، بغداد، ١٩٩٨، ص ٤٠.

المبحث الأول

إطار الدراسة

أولا: مشكلة الدراسة The Problem Of Study

تعالج هذه الدراسة قضية من أهم القضايا التى يعانى منها المجتمع العراقى وذلك بتأثير عوامل خارجية تمثلت فى العدوان والتآمر المكشوف، وهى قضية التلوث البيئى والتى نتجت عن العدوان واستمرار الحصار الاقتصادى طيلة أكثر من عقد زمان ومنذ ٦ / ٨ / ١٩٩٠. لهذا تركز الدراسة على آثار الحرب فى مجال التلوث البيئى وأثر ذلك على عناصر البيئة الأساسية المياه والتربة والهواء وعلى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية فى المجتمع العراقى. والذى ما تزال خطورته وآثاره السلبية قائمة لحد الوقت الحاضر وهذا ما يعطى لمشكلة الدراسة حيويتها وقيمتها العلمية. لهذا فإن الدراسة سوف تجيب على التساؤل التالى. ما هى الآثار الاجتماعية للتلوث البيئى والتى حدثت بسبب الحرب على العراق؟

ثانيا: أهمية الدراسة The Importance Of Study

تتجسد الأهمية العلمية للدراسة كونها تتناول أهم مشكلة تعانى منها الحضارة الإنسانية عمومًا لا سيما تلك المجتمعات التى وقعت ضحية لنشوب الحروب عليها، فضلا عن أن قضية التلوث قد تناولته اختصاصات ومجالات علمية مختلفة، طبيعية وصحية واقتصادية وجغرافية . . . . . الخ. إلا أن أحد الدوافع الأساسية لاختيار هذا الموضوع والتى تتعلق فى مجال الأهمية، أن التلوث وآثاره السلبية الخطرة لم يتناول بشكل كاف من زاوية الرؤية الاجتماعية، لتسهم بتقديم تفسيراً اجتماعيًا واسعًا. فضلاً عن محاولتنا كشف آثار التلوث ومجالاته كافة مما يساعد بتقديم معالجات لأضرار التلوث البيئى.

أما من جانب الأهمية السياسية لهذه القضية (التلوث) تظهر من خلال اهتمام معظم دول العالم بنظافة ونقائه البيئة ولهذا نلاحظ أن الغرب وأمريكا بشكل خاص أخذت فى الآونة الأخيرة تسيس قضية البيئة فى حين يعرف الجميع فى العالم أن أمريكا هى أكبر ملوث للبيئة فى العالم لأن النظام هناك قائم على المصالح المشتركة بين أصحاب الشركات والمرشحين للانتخابات فلا يستطيع السياسيون التنديد بالصناعات الملوثة للبيئة لانهم عندئذ لا يحصلون على دعم الشركات فى الفوز بالانتخابات وتبادل المنافع الذاتية[1].

إذ ما حدث للعراق جراء حرب الخليج الثانية يفصح عن دليل عملية تسيس البيئة التى يقوم بها الغرب وعلى رأسه أمريكا. لذلك نحن بحاجة اليوم أكثر من أى وقت إلى تعميق الوعى البيئى لدى أفراد المجتمع. ولعل قصور هذا الوعى وبالتالى عدم إنجاز خطواته زاد من مخاطر التلوث البيئى. ولهذا تحاول هذه الدراسة أن تقدم معرفة تسهم بتعميق الرؤية الاجتماعية لأبعاد وآثار التلوث على المجتمع العراقى.

كذلك تتعلق هذه الدراسة بالجوانب المادية والمعنوية للمجتمع لما لهذين الجانبين من أهمية كبيرة فى تكوين البناء الاجتماعى ومسيرة المجتمع وتحقيق رفاهية الإنسان وحرية نشاطاته المختلفة، وارتباطاته الاجتماعية لأن التلوث البيئى مرتبط بقدرة أفراد المجتمع على التمسك بالأنساق الاجتماعية والثقافية لمجتمعهم، وإن أى خلخلة فى هذه الأنساق تؤدى إلى زيادة التلوث، الذى يهدد الوجود الاجتماعى والذى من خلاله يتحدد وعى وشعور كل إنسان.

ونؤكد بصورة عامة كما ألمحنا أن جل ما يجسد أهمية الدراسة أنه يمكن عدها من الدراسات الأولى التى اهتمت بالتلوث البيئى من رؤية علم

(١) د. عدنان ياسين مصطفى، ندوة العوامل والآثار الاجتماعية لتلوث البيئة، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص٤.

الاجتماع. وبالتالى أنها يمكن أن تعطى معلومات تفيد المؤسسات التى تهتم بقضية التلوث ومعالجته من خلال التوصيات والمقترحات التى خرجت بها الدراسة.

وأخيراً، تعد هذه الدراسة وثيقة علمية اجتماعية سياسية لكشفها آثار العدوان الغربى (الأمريكى الصهيونى) على المجتمع العراقى، لكونه يمثل فى الزمن المعاصر صورة جديدة لتطور المجتمع العربى.

ثالثاً: هدف الدراسة The Aims Of Study

تأخذ مشكلة التلوث منحنى أخر على الرغم من كونها مشكلة عالمية وذلك بسبب الظروف التى تعرض لها العراق بعد حرب الخليج الثانية، فقد شمل التلوث سموم كيمياوية منتجة من أصل بيولوجى مع اليورانيوم المستنفذ أو المنضب. وهذه الإشعاعات والملوثات الخطرة تكون ذات أثر فعال وسام وتفتك بكل ما هو حى سواء كان إنسانًا ام حيوانًا ام نباتًا بمجرد ملامسته لها وتعرضه أو استنشاقه لرذاذها، إذ أن تأثير هذه الملوثات يتراوح بين التأثير الانى والتأثير بعيد المدى[1]. وعلى هذا لا بد من متابعة آثار التلوث بمجالاته كافة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والصحية والسياسية، لأن هذا التلوث يمكن أن يسهم بفاعلية بتدمير النظام الاجتماعى، لا سيما بعد ارتفاع نسبة الاصابات بأمراض السرطان والتشوهات الولادية والعقم والحساسية وغيرها من الأمراض الوبائية الخطيرة كان التلوث أحد أسبابها الرئيسة، ابتداءً من عام ١٩٩١.

---

(١) مجلة الجيولوجى العربى، أثر تلوث البيئة بعد العدوان على صحة المواطن العراقى، تقرير اخبارى للإعلام الدولى والمنظمات الإنسانية، العدد ١، ١٩٩٥، ص١٧.

لذا تروم الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:

١ - دراسة الآثار السلبية لهذا النوع من التلوث فى البيئة والإنسان.

٢ - بيان أهمية البيئة الجغرافية فى الحياة الاجتماعية.

٣ - تعميق الوعى البيئى لدى أبناء المجتمع.

***

المبحث الثانى

تحديد المفاهيم

تتزايد المعرفة بشكل لم تعهده البشرية من قبل، لدرجة أن العصر الحالى يطلق عليه "عصر ثورة المعلومات" تمييزاً له عن ثورتين أخرتين عاشتها الإنسانية هما الثورة الزراعية والثورة الصناعية، ومع بساطة الحياة ومحدودية المعرفة كانت حقائق العلم بسيطة ومحدودة، ولكن مع هذا التغير تزايدت الحقائق وتراكمت مفاهيم العلم. وأصبح لكل مجال معرفى مفاهيم معينة وخريطة مفاهيم حاكمة، ومن هنا أصبح تعلم المعارف والحقائق قليل القيمة فى إطار هذا التراكم الهائل للمعرفة، وبالتالى شعر الاجتماعيون والتربويون بالحاجة إلى ضرورة التركيز على مفاهيم العلم.

والبيئة بوصفها منظومة شاملة ومتكاملة يعيش فيها الإنسان ويتفاعل معها، وبهذا التفاعل عليه أن يدرك كلية الإطار البيئى بمفاهيمه ومكوناته كى يستطيع الحياة بصورة سليمة وعقلانية، فضلاً عن مراقبة تغيراته الإيجابية والسلبية. ومن هنا كانت ضرورة أن نعرض بعض المفاهيم الأساسية ذات الصلة بموضوع الدراسة:

١ - الأثر Effect

يعنى بقية الشىء وخرجت فى إثره أى بعده وتأثرته تتبعت أثره والتأثير بقاء الأثر فى الشىء وأثر فى الشىء ترك فيه أثراً، والأثر الخبر والجمع آثار[١]. كما فى قوله تعالى: ﴿ ... وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥، ص٦.

والأثر كما عرفه جابلن فى القاموس السايكولوجى بأنه الحدث أو الظاهرة الناتجة عن سبب معين بحيث يكون له علاقة بهذا السبب، "حدث سببى"[١].

عند دراسة الأثر تتعدد العناصر أو المتغيرات التى تؤخذ بنظر الاعتبار ويصعب عزلها إذا كانت تتعلق بجوانب النفس الإنسانية[٢]. لا سيما أن الآثار الاجتماعية هى متغير يصعب فصله عن بقية المتغيرات النفسية والاقتصادية والصحية والسياسية.

أما مخلفات أو فاعلية الأثر على الجوانب الاجتماعية والمادية فهى يمكن حصرها ومعرفة سلبياتها لكون الآثار الاجتماعية Social Effects تعنى الغايات الضارة بالمجتمع العراقى التى سعى العدوانيون إلى تحقيقها واهمها تفكيك البنية الاجتماعية وتحطيم علاقة القائد بالجماهير وخلق عوامل التهديد والخطر فى محيط الأفراد والجماعات هذا من جانب، وفى الجانب الاخر تعنى جهود العراقيين لإعادة البناء الاجتماعى والرد على العدوان[٣].

٢ - البيئة Enivronment

يظهر أن الكتاب غير مهتمين بتعريف البيئة، وذلك لأن المعنى العام واضح لديهم، لذلك نجد البعض لا يحدد هذا المفهوم[٤]. والبيئة تعنى

---

(1) Chaplin, Dictionary Of Psychology, Four Praint, 1971, P153.

(٢) انظر: سوسن نايف عدوان، أثر التلفزيون فى سلوك الأحداث، رسالة ماجستير، قسم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٤، ص١٤.

(٣) كريم محمد حمزة، الأبعاد الاجتماعية لأم المعارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧، ص١٩.

(٤) قيس عبد الفتاح مهدى، الوعى والثقافة البيئية فى الوطن العربى، بحث فى ندوة الأمن البيئى العربى، بيت الحكمة، بغداد، ٩ - ١٠ تشرين أول، ٢٠٠٢، ص٤.

المنزل[1]. ويقال فى اللغة العربية بوأه منزلاً وبوأه اياه وبوأه له وبوأه فيه، بمعنى هيأه له وانزله ومكن له فيه. وتبوأت منزلاً أى نزلته قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ ... ۝٩﴾ [الحشر]، والاسم من هذه الأفعال البيئة، فاستباءه أى اتخذه مباءة، بمعنى نزل وحل به[2].

ويقال عن البيئة المحيط، فنقول (الإنسان ابن بيئته)، والبيئة فى علم الاجتماع تعنى الحالة، ومنه يقال (وإنه لحسن البيئة).

ويستخدم لفظ Environment فى اللغة الإنجليزية للدلالة على مجموع كل الظروف الخارجية المحيطة والمؤثرة فى نمو وتنمية حياة الكائن الحى، أو مجموع الكائنات الحية.

وكذلك يستخدم للدلالة على الوسط أو المحيط أو المكان الذى به الكائن الحى ويؤثر فى حياته.

وتذهب الموسوعة الفلسفية والنفسية إلى وضع مرادفات لجميع الألفاظ اللغوية فى معظم لغات العالم كمرادفات كلمة (البيئة) والتى تترادف بين كلمات الوسط، والمحيط، والمكان، والظروف المحيطة، والحالات المؤثرة، وذلك فى كل من اللغة الألمانية والإيطالية والفرنسية.

وعرفها بعض العلماء بأنها مدى واسع من العناصر الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية التى تتداخل فيما بينها. وكذلك عرفت بأنها ذلك الكل المعقد من العناصر الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والجمالية التى

---

(١) إسماعيل بن عباد، المحيط فى اللغة، الجزء العاشر، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ص٤٤٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٥، ص٣٩.

تؤثر فى الأفراد أو الجماعات وتحدد خصائصهم وعلاقاتهم[١]. وفى معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية عرفها أحمد زكى بأنها كل ما يحيط بالإنسان من طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية وعلاقات شخصية[٢]. وتعد البيئة هى الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى يمارس فيها علاقاته مع أقرانه من بنى البشر. وهى ليست موارد يتجه إليها الإنسان يستمد منها مقومات حياته وإنما تشمل أيضًا علاقة الإنسان بالإنسان والتى تنظمها المؤسسات الاجتماعية والعادات والأخلاق والقيم والأديان[٣].

وعرفت أيضًا بأنها ذلك الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ويمارس نشاطه الاجتماعى والاقتصادى وتتأثر بظروفها أحوال الإنسان الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والصحية[٤]. ويغطى مفهوم البيئة تقريبًا كل شىء يرتبط بالكائنات الحية وتعد هى مجموعة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية التى تؤثر فى حياة الإنسان[٥].

ونجد عند ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) أن البيئة واضحة فى عناوين

---

(١) أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص٧٢ - ٧٥.

(٢) أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧، ص١٣٨.

(٣) عبد الرزاق محمد سعيد الغريرى، الأبعاد البيئية للعدوان الثلاثينى على العراق، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد٥٤، ٢٠٠١، ص٣٧٠.

(٤) د. محمد عبد الفتاح القصاص، مشكلة تلوث البيئة، ندوات ومحاضرات الموسم الثقافى لجامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٤٧.

(٥) د. حيدر عبد الرزاق كمونة، المشاكل البيئية وترشيد خطط التنمية، مجلة الحكمة، بيت الحكمة، بغداد، العدد٢٢، ٢٠٠٢، ص١١٢.

بعض فصول المقدمة مثل (فى المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء فى ألوان البشر والكثير من أحوالهم) ومثل (فى أثر الهواء فى أخلاق البشر)[١].

وتعنى البيئة عند ابن خلدون مكان تتوافر فيه إمكانات معينة والإنسان وحدة هو المهيأ للاستفادة من هذه الإمكانات وإحداث التغيرات فيها بحسب ما تقتضيه ظروفه فى "المعاش" والعمران البشرى[٢].

ونفهم من العرض السابق أن البيئة هى المحيط أو الوسط الذى يحدث فيه التفاعل الاجتماعى بين أبناء المجتمع بينهم أنفسهم وبينهم وبين البيئة الطبيعية، ولضرورات دراستنا، يمكن أن تعرف البيئة إجرائيًا هى بيئة المجتمع العراقى بكل مجالاتها المادية والمعنوية التى تعرضت إلى الدمار والتلوث نتيجة حرب الخليج الثانية.

٣ - التلوث البيئى Environmental Pollution

هو من الظواهر التى حضيت باهتمام الباحثين، ولا سيما فى النصف الثانى من القرن العشرين، وعلى الرغم من أن التلوث موجود منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض إلا أنه ظل محدوداً وخلف الخط الآمن[٣].

حتى أن آراء العلماء فى تحديد تعريف للتلوث قد اختلف حسب اختلاف وجهات النظر وكل حسب اختصاصه من فيزيائيين وكيميائيين وعلماء

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون سنة نشر، ص ٨٢ - ٨٧.

(٢) د. فتحية محمد إبراهيم، الثقافة والبيئة، دار المريخ للنشر، السعودية، ١٩٨٨، ص ٥٠.

(٣) انفال سعيد داود، التوزيع الجغرافى للملوثات المؤثرة فى نهر دجلة بين بلد والمدائن، رسالة ماجستير، قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٠.

بيئة وصحة وجغرافيين واجتماعيين[1]. ويعرف بأنه اختلال فى العناصر المكونة للنظام البيئى[2].

والتلوث هو إلقاء النفايات (Waste) بما يفسد جمال الطبيعة ونظافتها. والتلوث البيئى مشكلة برزت بوضوح مع مجيئ عصر الصناعة، وحضيت بالاهتمام لأن آثاره الضارة شملت الإنسان نفسه وممتلكاته واخلت بالكثير من الأنظمة البيئية السائدة، ويوصف التلوث بأنه الوريث الذى حل محل المجاعات والأوبئة[3]. ويعكس ذلك مدى خطورته وعمق اذاه الذى امتد إلى كل المجالات فى حياة البشرية الاجتماعية والنفسية والصحية والمادية مما جعل الإنسان يعيش فى دوامة من القلق والاضطراب. والتلوث مشكلة كبيرة اعطيت الكثير من الاهتمام بالنظر لآثارها السلبية فى نوعية الحياة البشرية فالملوثات تصل إلى جسم الإنسان من خلال الهواء الذى يستنشقه والماء الذى يشربه والطعام الذى يأكله والأصوات التى يسمعها[4]. ويلخص مصطلح التلوث Pollution مختلف التهديدات البيئية التى يتعرض لها الأفراد وأصبحوا فى كثير من الأحيان أكثر ألفة بها إذ أن التلوث هو حالة عدم النقاء أو عدم النظافة وهذه الحالة تدل على وجود عوامل سلبية أضافها المجتمع الإنسانى إلى البيئة بكميات وكيفيات تؤدى إلى تخريب الوضع البيئى مما تؤدى إلى تهديد أبناء المجتمع[5].

---

(١) سها حنا حبيب، مصفى الدورة وأثره فى تلوث الهواء، رسالة ماجستير، قسم الجغرافية، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص٢٥.

(2) John Edington, Ecology and Environmental Planning, London, 1977, P 66.

(٣) نعيم إبراهيم الظاهرة، تلوث الهواء وإدارة البيئة فى الاردن، مجلة البحوث الجغرافية، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية للبنات، العدد١، ٢٠٠١، ص١٢١.

(٤) عطية عواد أبو سرحان، التربية البيئة، ط٢، بدون مكان نشر، ١٩٨٧، ص٨٠.

(٥) السيد عبد العاطى السيد، الإنسان والبيئة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٨، ص٣٧٦.

وينتج التلوث من خلال تقديم الفضلات أو الطاقة الزائدة من قبل الإنسان إلى البيئة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مسببة للأشخاص الأخرين أضراراً، لذا فالتلوث ناتج عن تكوين فضلات، أو طاقة زائدة بسبب نشاطات الإنسان، وقد تكون هذه الفضلات على شكل غازات أو مواد صلبة أو سائلة أو طاقة زائدة على شكل إشعاع أو حرارة أو بخار أو ضوضاء[1].

وعرف التلوث بأنه التغير السلبى الذى يطرأ على أحد مكونات الوسط البيئى والذى ينتج كلاً أو جزءاً من النشاط الإنساني الحيوى والصناعى[2].

وحتى لا يكون رد الفعل أكبر من الفعل نفسه فانني احب أن اذكر بحقيقة علمية هامة وهى أننا لا نحصل على شيء مقابل لا شيء فالورد معه الشوك والدواء معه الأعراض الجانبية واللذة يعقبها الالم ومن ثم وجب أن يصحب التقدم الصناعى والتكنولوجى شيء من التلوث البيئى.

ولهذا فقد حظيت مشكلة تلوث البيئة باهتمام بالغ من لدن مختلف المؤسسات والهيئات الدولية والحكومية بقصد المحافظة على البيئة نظيفة من الآثار المدمرة للتلوث[3].

وقد تعرضت البيئة فى العراق إلى تلوث إشعاعى والذى هو أحد أنواع التلوث البيئى والذى يعرف، بأنه الزيادة أو النقصان فى تركيب أو المركبات أو العوامل الزائدة عن الحدود الطبيعية لها والعناصر البيئية المختلفة مما يؤدى إلى

---

(١) كرستوفر وود، تخطيط المدن والسيطرة على التلوث، ترجمة مضر خليل عمر، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٤، ص١٥.

(٢) د. محسن عبد الوهاب المظفر، التخطيط الإقليمى، دار شموع الثقافة، الطبعة الأولى، ليبيا، ٢٠٠٢، ص ١٤٦.

(٣) عماد الجواهرى، زيد الأسدى، فتاة جامعة القادسية ودورها فى حماية أسرتها من التلوث مجلة جامعة القادسية، المجلد ١، العدد١، ٢٠٠١، ص٦٣.

حدوث خلل فى نظام التوازن البيئى، وبالتالى ينتج ضرراً فى صحة الإنسان والأحياء الأخرى المحيطة به[1]. وهذا يؤدى إلى فقدان النظام الاجتماعى لقدرة التكيف الإيجابى مع البيئة ولهذا فنحن نعتقد أن تعريف التلوث البيئى هو التغير الذى يحدث فى النظام الاجتماعى وعدم قدرته على التكيف الإيجابى مع البيئة مما يؤدى إلى حدوث أضراراً بيئية.

٤ - الوعى البيئى Environmental Perception

إن الوعى هو عملية معقدة لم تأتِ من فراغ وإنما من خلال علاقة الإنسان بواسطها الاجتماعى والبيئى، لأن هناك علاقة تبادلية بين الوعى والمحيط الاجتماعى، فالإنسان يؤطر تفكيره من وجوده الاجتماعى وبقدر تطور معرفته يستطيع أن يعكس المعرفة على الواقع الاجتماعى وعلى شكل تطوير وتغيير وابتكار وابداع.

لا سيما أن الفرد يتأثر بالمحيط المادى والاجتماعى تأثرا كبيرا وينعكس ذلك على مجمل تصرفاته وسلوكه واحاديثه وتحليلاته للأحداث التى يتوقع حدوثها أو قد حدثت فعلاً. وهذا يعنى أن الفرد غير قادر على إيجاد وعى خاص به غير متأثر بالمحيط الاجتماعى الذى يحيا فيه وإنما وعى الإنسان هو انعكاس لما يجرى فى الواقع من أحداث اجتماعية واقتصادية وسياسية[2]. فالوعى البيئى هو إدراك الفرد لطبيعة الظروف والمخاطر والمعوقات المحيطة به

---

(١) د. سعاد العزاوى، ندوة البيئة والحياة، مجلة علوم، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العدد ١٠٤، ١٩٩٩، ص١٩.

(٢) أحمد فرحان جمعة الكبيسى، الأمن الاجتماعى فى تحصين وتماسك المجتمع العراقى، أطروحة دكتوراه، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٠، ص٢٤٦.

وكيف يستطيع التفاعل معها والتجاوب مع مفرداتها بحيث يكون متكيفًا مع البيئة أو الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه[1].

والوعى البيئى هو جميع المهارات والخبرات والاتجاهات التى تساعد الأفراد والجماعات على اكتساب الحس المرهف بالبيئة وتجعل الفرد إيجابيًا فى تعامله وفى تصرفاته مع البيئة فى ميادينها جميعا. ويهدف الوعى البيئى إلى تبصير المواطنين بالمشاكل الاجتماعية وإرشادهم إلى وسائل حلها والتغلب عليها هذا من جانب، ومن جانب آخر يهدف إلى تحقيق حياة أفضل للأفراد والجماعات، وحمل المواطنيين للإسهام والنهوض فى المجتمع، من خلال تبصيرهم بالقضايا القومية والوطنية التى تمس الأمن البيئى. ولمؤسسات المجتمع المختلفة دور كبير فى زيادة أو تكوين الوعى البيئى لدى أبناء المجتمع من خلال ما تنشره من أفكار بين أعضائها.

٥ - الثقافة البيئية Environmental Cultivation

الثقافة ظاهرة اجتماعية تحتوى على كل نواحى الحياة الاجتماعية وأشكالها ولكل ناحية وكل شكل من هذه الأشكال جانبه الثقافى أى وجهته الثقافية ووظيفته. وهذا يعنى أن الثقافة ليست شكلاً مستقلاً من أشكال الحياة الاجتماعية مثل الدولة أو العائلة.

إذا تناولنا الثقافة من وجهة نظر حياتية فهى حصيلة القيم المادية والروحية التى خلقها الإنسان وتراكمت عبرة مسيرة التاريخ وإذا نظرنا إليها من وجهة نظر حيويتها وأهميتها فهى مجموع العادات والمعارف والمهارات من كل الأنواع، وإذا نظرنا إليها وظائفيًا فهى صقل مواد الطبيعة وعناصرها وصقل الإنسان أيضًا.

---

(١) د. إحسان محمد الحسن، وآخرون، الثقافة والوعى الاجتماعى فى قرية البوعيثة، دراسة ميدانية، بغداد، ٢٠٠٢، ص٢.

والثقافة من وجهة نظر الإنسان هى إحدى وظائف النشاط الاجتماعى والترجمة الحرفية لكلمة الثقافة باللاتينية تعنى (صقلاً وتهذيبًا) ولقد كتب مؤسسوا الماركسية يقولون أن إحدى نواحى نشاط الإنسان هى صقل (الناس للبيئة) والناحية الأخرى هى صقل (الناس للناس)[١].

ولعملية التنشئة الاجتماعية دور كبير فى تكوين الثقافة البيئية من خلال الفعاليات التى تقدمها للأفراد خلال مدة نموهم، وتؤكد التنشئة الاجتماعية على أهمية البيئة ودورها فى تشكيل حياة الأفراد. وتعرف الثقافة البيئية على أنها القواعد السلوكية التى يرتضيها المتخصصون فى البيئة للسير على منوالها فى المواقف البيئية المختلفة بهدف تعامل أفضل مع بيئتنا[٢].

والثقافة البيئية هى عملية إدراك القيم والمفاهيم البيئية بهدف تطوير المهارات والاتجاهات لدى أبناء المجتمع من خلال فهم العلاقة المتبادلة بين الإنسان ومحيطه الطبيعى، وهى أيضًا التصعيد المستمر للإدراك الفردى والجماعى للمشاكل البيئية، إذ دون الثقافة البيئية لا توضع الحلول المناسبة للمشاكل المزمنة[٣]

ونحن نرى بأن الثقافة البيئية تعنى الاتجاهات والقيم الاجتماعية جميعها التى يمارسها أو يتقيد بها أبناء المجتمع، والتى تؤدى إلى رفع مستوى المجتمع من خلال المحافظة على موارد البيئة واستغلالها بالشكل الذى يلائم خطط التنمية، من أجل تحقيق بيئة اجتماعية سليمة وخالية أو قليلة التلوث.

---

(١) توغارينوف، الطبيعة الحضارة الإنسان، ترجمة رضوان القضمانى، دار الفارابى، بيروت، ١٩٨٧، ص٨٨ - ٨٩.

(٢) إبراهيم عصمت مطاوع، التربية البيئية، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص١٥٠.

(٣) د. مقداد حسين على، وآخرون، علوم المياه، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٠، ص٥٧٨.